في الإصلاح

أزمة الزواج

رأيت أن أتكلم في هذا الموضوع عن بعض أمراضنا الخلقية المشتركة، وما يكون عادة حجر عثرة في سبيل الزواج، أو يكون سبباً في تهقر الأمة والسير بها إلى الوراء بخطى واسعة، لقد يأخذني العجب وتعتريني الدهشة عند ما تمر بخاطري هواجس الشباب عند طلب الزواج، يبث الشاب عيونه وينشر جواسيسه في شرق البلاد وغربها للبحث عن زوجة تكون من اليسار بمكان، كأنه يريد أن يتزوج ليعيش من تراث المرأة، أو كأنه يريد أن يتزوج ليضرب أكبر رقم في الكسل والخمول، أو كأنه مارغب في الزواج إلا ليقعد عن الجهاد في سبيل الحياة. ليس هذا العصر عصر الجلوس وهز الرءوس، بل هو عصر تقدر فيه قيم الرجال بما لديهم من أعمال. ينسى الفتى قول الله تعالى «إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله» ينسى أن يبحث عن زوجة صالحة ويغيب عنه «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس».

ليس الزواج بالشباب اليوم تجارة تعملون على الربح منها أو مرتزقاً تعيشون من وراءه بل الزواج أن يتقي المرء زوجة طاهرة

ومن العجب العاجب أن يشترط كذلك أن تكون ذات جمال فتان. يريد أن تكون أجمل مخلوقة ولو كانت بمختلف الألوان مصبوغة! يريدها خليعة رشيقة تجيد الرقص وتلعب بالعقول والقلوب، ولا يهمه جمال عقلها وطباعها، يريدها أن تكون جميلة وكفى، غير ناظر إلى سوء طباعها ورداءة أخلاقها، كأنه ناسٍ أن الجمال يستر المساوىء الخلقية، ولكنه لن يرق الشباب طوح به فضل سواء السبيل. ليس الجمال في احمرار الخدود وتورد الوجنات. إنما الجمال جمال النفس وبديع الصفات. وقد أعجب كذلك من أن بعض الشباب يبحث عن زوجة متعلمة تعليماً راقياً أو من الحاصلات على الشهادات العالية، ولا أدري لذلك معنى ولا أفهم لهذه الرغبة قيمة. لأن الزوج يكفيه من زوجته أن تكون مثقفة ثقافة تكفيها لأن تدير شئون بيتها وترعى بها أولادها وتسير على مصالح زوجها. إن عدد المتعلمات في قطرنا من هذا النوع لا يتجاوز عدده أصابع اليد، وكلهن والحمد لله يشغلن المناصب الحكومية، ومن الخطل

فى الرأى أن يتجه نظر الشباب إلى هذه الناحية فى الزواج . فحسبه أن تكون زوجة ماهرة فى إدارة بيته وكفى !

من هذه النظريات الطائشة والأفكار الخاطئة ، ومن طمع الشباب فى المال والجمال والتعليم نشأت أزمات الزواج بين صفوف الذين يعدون أنفسهم أرقى الطبقات .

هذا عن الفتيان . أما عن الفتيات فقد سرى فيهن هذا الداء العضال ، إذ يشترطن المال والجمال والتعليم ونسين قول الشاعر :

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم إذا كانت الأخلاق غير حسان

كل له شروط وكل له تحفظات وكلا الفريقين عامل على تنفيذها مصر على تحقيقها . حريص كل الحرص عليها ، حتى قل الزواج فى هذه الصفوف وساءت الحال وأصبح الأمر فوضى ، ولو درت بنظرك فى بلاد الريف لما وجدت هذه الأزمات الطاحنة تسرى فى الطبقات العليا سريان الماء فى العود . فحسب القروى أن تحسن زوجته إدارة بيته وتمهد أولاده وراحته ، وهذه هى القاعدة المنطقية المعقولة التى عليها عمران الكون ونظام المجتمع الانسانى : وإن فاتتى فى امراضنا الزوجية كثير ، فلن يفوتنى أن أعرج على تلك الضريبة الفادحة التى يفرضها الآباء على طالبى الزواج ، هى ضريبة (المهر) التى ترهق الشباب ، تضربها الفتاة على الفتى ثمناً ليدها

يجب أن يعتقد والد الفتاة أنه مسئول أمام الله وأمام ضميره عن سعادة ابنته فيكتفيه فى خطيبه أن يكون حسن الأخلاق قادراً على الانفاق عليها ؛ وألا يرهقه بتلك الضريبة المشئومة التى كثيراً ماتكون حائلا دون الزواج . وبذلك يقضى على شباب ابنته ويقيدها فى منزله مادام لايريد إلا مهراً ، وقد علم أن المال عرض زائل والناس لا تأكل ذهباً ولافضة .

كذلك يجدر بالشاب الذى يريد الزواج السعيد أن ينظر إلى الطبقة التى تلائمه ؛ وألا يتغالى بالخروج عن الوسط الذى يليق به

ويجب أن يبتعد الآباء والأزواج عن التغالى فى إقامة الأفراح والتورط فى تنسيق الحفلات فأن هذه كلها مظاهر كذبة لا تعود على الزوجين بأية فائدة .

هذا قليل من كثير مما هو شائع فى أمراضنا الزوجية وقد خاض فيها أساطين الفلاسفة والكتاب ، وخرجوا منها على أنه يجب على الجميع أن يعملوا على تلافيها ؛ وإلا فأن الأمم تهدد بخطر الفناء والموت .

التهامى حسن سعد

رئيس نقابة دسوق